# التربية القرآنيّة
# في ضوء السيرة النبويّة

د. عبد الله بن وَكِّل الشيخ

**ورقة عمل مقدَّمة إلى:**

**مؤتمر ملتقى التربية بالقرآن الكريم**

جامعة أم القرى، مكّة المكرمة

٢٥ - ٢٦ /٢/ ١٤٣٦هـ

**بسم الله الرحمن الرحيم**

## تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، **أمّا بعد:**

فإنَّ القرآن الكريم مَنهَلٌ للعِبَر، وسجل حافلٌ بالتربية؛ أينما وردته اعتبرت به، وأينما صدرت عنه تزوّدت منه. فهو كتابُ تغييرٍ نحو الأفضل، وتهذيبٍ لِما شابَ النفوسَ مِن أدران، وتطهيرٍ لِما أصاب الفِطَر من انتكاسات. وهو الكتاب الذي داخَلَ النفوس فكشفها، وفاتشها فأخرج خبيئها، وعالجها فاجتثّ خبيثها. ولا غرو فهو كلام الله ﷻ؛ فيه آياتٌ للسائلين، وتذكرةٌ للمربِّين، وتبصرةٌ للمؤمنين، ونذيرٌ للزائغين.

بين جنبات هذا الكتاب العظيم تَبدَّت سيرةُ نبيِّنا ﷺ وسيرةُ أصحابِه رضوان الله عليهم أجمعين ساطعة كالشمس في رائعة النهار، ولكنها سيرةٌ ليست ككل السِّيَر، وقَصٌّ ليس ككلِّ القصِّ، وعَرضٌ للأحداث والوقائع ليس ككل العرض؛ حينما تنشغل كتب التأريخ والسِّيَر بعدد الجُنْد، وجغرافيا المكان، وأسماء المقَاتِلَة، وإحصاء المغانم؛ يحفل القرآن برسم العِبْرَة، وإيقاظ البصيرة، وترسيخ المعنى، وتعميم الدَّرس..

**هذا، وقد جاءت ورقة "التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية" في مبحثين:**

**المبحث الأول: مقدِّمات مُمَهِّدات.** وفيه أربع مقدِّمات:

**المقدِّمة الأولى:** القرآن كتاب تربية وهداية وتزكية.

**المقدِّمة الثانية:** أثر تنجيم القرآن في تثبيت معاني التربية.

**المقدِّمة الثالثة:** السيرة النبويّة الوعاء الحيويّ للتربية القرآنية.

**المقدِّمة الرابعة:** تمايُز المعالجة القرآنية للأحداث عن كتب السِّيَر والتواريخ.

**المبحث الثاني: التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية.** وفيه مثالان:

**المثال الأول:** المعالجة القرآنية التربوية لحدث كامل من أحداث السيرة النبوية.

**المثال الثاني:** المعالجة القرآنية لمعنى تربوي قُرِّر في مناسبات متعددة من أحداث السيرة.

***

# المبحث الأول
# مقدِّمات مُمَهِّدات

## المقدِّمة الأولى
## القرآن كتاب تربية وهداية وتزكية

أبان القرآن الكريم في أكثر من موضع عن الغرض الرئيس، والغاية الأهمّ، مِن بعثة النبي ﷺ؛ وأنَّ هذا الغرض وتلك الغاية مِن أعظم المِنَن التي يَمُنُّ الله ﷻ بها على هذه الأُمَّة الخاتمة؛ فقال عَزَّ مِن قائل: ﴿**كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [الجمعة: ٢]، وقال ﷻ: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفي هذه الآيات الثلاث تقديم التزكية على التعليم، والتربية على التلقين، وهذه طبيعة التربة التي خُلِق منها الإنسان، لا تستقيم إلّا بتحليةٍ تتقدَّمها تخلية: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الملك: ١٤]. وهذا ما يستقيم كذلك مع قانون المصلحة والمفسدة عند التعارض، مِن تقديم درء المفسدة على جلب المصلحة.(١)

ولقد أبانت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها عن سِرِّ هذا التقديم في قولها: "**إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المُفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ؛ وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا، لَقَدْ نَزَلَ بِمَكَّةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَإِنِّي لَجَارِيَةٌ أَلْعَبُ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾** [القمر: ٤٦] **وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ**".(٢)

وهكذا تتجلَّى التزكية في أبهى آثارها؛ "تطهيرًا للضمير والشعور، وتطهيرًا للعمل والسلوك، وتطهيرًا للحياة؛ تطهير ترتفع به النفوس من عقائد الشرك إلى عقيدة التوحيد، ومن التصورات الباطلة إلى

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية (١/٤١٧، ٢/٣٢٦).

(٢) صحيح البخاري، ترقيم عبد الباقي (٤٩٩٣).

الاعتقاد الصحيح، ومن الأساطير الغامضة إلى اليقين الواضح. وترتفع به من رجس الفوضى الأخلاقية إلى نظافة الخلق الإيماني، ومن دنس الرِّبا والسُّحت إلى طهارة الكسب الحلال.. إنها تزكية شاملة للفرد والجماعة، ولحياة السريرة وحياة الواقع. تزكية ترتفع بالإنسان وتصوراته عن الحياة كلها، وعن نفسه، ونشأته؛ إلى آفاق النور التي يتصل فيها بربه، ويتعامل مع الملأ الأعلى، ويحسب في شعوره وعمله حساب ذلك الملأ العلوي الكريم". (١)

أمَّا ما جاء في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام مِن تقديم التعليم على التزكية في دعائهما: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٩]، **ففيه مِن الأجوبة**؛ أنَّ دلالة التزكية في المواضع الأولى التي تقدَّمت فيها على التعليم، تختلف عن دلالتها في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام التي تأخّرت عنه؛ ففي الأولى يُراد بها التطهير، وفي الثاني يُراد بها الشهادة على أنَّهم خيار أزكياء، وذلك متأخِّر عن تعليم الشرائع والعمل بها.(٢)

**وقيل**: بأنّ هذا التقديم بحسب ما تراءى لهما مِن أهميّة التعليم وشرف التحلية.(٣)

***

## المقدِّمة الثانية

## أثر تنجيم القرآن في تثبيت معاني التربية

قال ﷻ في تنزُّل القرآن مُفَرَّقًا: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال عَزَّ مِن قائل: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾ [الفرقان: ٣٢].

**ومِن وجوه وحِكَم وأسرار تنجيم القرآن على الأحداث والوقائع، التدرُّج في تربية هذه الأمة الناشئةِ، علمًا وعملًا. وينضوي تحت هذا الإجمال جملة من الأمور:**

**أولها: التمهيد لكمال تخلِّيهم عن عقائدهم الباطلة**، وعباداتهم الفاسدة، وعاداتهم المرذولة؛ وذلك بأنْ يراضوا على هذا التخلِّي شيئًا فشيئًا، بسبب نزول القرآن عليهم كذلك شيئًا فشيئًا؛ فكلما نجح الإسلام معهم في هدم باطل، انتقل بهم إلى هدم آخر، وهكذا: يبدأ بالأهم ثم بالمهم، حتى انتهى بهم آخر الأمر عن تلك الأرجاس كلها، فطهّرهم منها، وهم لا يشعرون بعنتٍ ولا حرج،

---

(١) الظلال ط. الشروق – القاهرة (٣٥٦٥/٦)

(٢) انظر: البحر المحيط لأبي حيان ط. دار الفكر ١٤٢٠هـ (٢/ ٤٨)، روح المعاني (٤١٧/١).

(٣) انظر: روح المعاني (٣٢٦/٢).

وفطمهم عنها دون أن يرتكسوا في سابق فتنة أو عادة. وكانت هذه سياسة رشيدة لا بُدّ منها في تربية هذه الأُمّة المجيدة.

**ثانيها: التمهيد لكمال تحلِّيهم بالعقائد الحقّة**، والعبادات الصحيحة، والأخلاق الفاضلة؛ بمثل تلك السياسة الرشيدة السابقة. ولهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشرك، وإحياء قلوبهم بعقائد التوحيد وحُجَج الحساب والمسؤولية والجزاء. **ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات**؛ فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة، وثنَّى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحجِّ في السنة السادسة منها. **وكذلك كان الشأن في العادات**؛ زجرهم عن الكبائر، وشدَّد النكير عليهم فيها، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرِّفق، وتَدَرَّجَ في تحريم ما كان مستأصِلًا فيهم كالخمر، تدرُّجًا حكيمًا، حقَّق الغاية، وأنقذهم من كابوسها في النهاية. وكان الإسلام في انتهاج هذه الخُطَّة المثلى أبعد نظرًا، وأهدى سبيلًا، وأنجح تشريعًا، وأنجع سياسةً؛ مِن تلكم الأُمَم المتمدِّنَة المتحضِّرة التي أفلست في تحريم الخمر على شعوبها أفظع إفلاس، وفَشِلَت أَمَرّ فشل. أليس ذلك إعجازًا للإسلام في سياسة الشعوب، وتهذيب الجماعات، وتربية الأُمَم؟! بلى، والتاريخ على ذلك من الشّاهِدين.

**ثالثها:** تثبيت قلوب المؤمنين، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين؛ بسبب ما كان يقصّه القرآن عليهم الفينة بعد الفينة، والحين بعد الحين؛ من قصص الأنبياء والمرسلين، وما كان لهم ولأتباعهم مع الأعداء والمخالفين، وما وعد الله به عباده الصالحين؛ من النصر، والأجر، والتأييد، والتمكين. والآيات في ذلك كثيرة حسبك منها قول العليِّ الكبير في سورة النور: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٥٥].(١)

وفي ذلك كمال التهيئة لأُمَّة تصارع مَن حولها من أهل الديانات وأهل الوثنية؛ وفي كلٍّ منهم حرد على الحقّ، ولن يألوا جهدًا في صد الحق وردّه، إنْ لم يقدروا على محوه ووأده.

ولقد أنتجت تلك التربية مسلكًا رشيدًا في هذه العصبة المؤمنة؛ فما وهنت في خطب، وما ضعفت في مهمّة؛ فحقَّقَت في أنفسها ثمار هذه التربيّة، فحقَّق لها في جولاتها النصر والظفر: ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ٤٥].

***

(١) انظر: مناهل العرفان للزرقاني ط. الحلبي (١/٥٥ – ٥٧).

## المقدِّمة الثالثة

## السيرة النبويّة الوعاء الحيويّ للتربية القرآنية

مِن المقدِّمَتَين السَّابقتين يتبيَّن أنَّ أحداث السِّيرة النبويّة إحدى ميادين التدفُّق الحيويّ للأحداث والوقائع التي تتنزَّل آيات القرآن الكريم خلالها أو عقب انقضاء أحداثها في الغالب؛ لتعالجها وتُربِّي من خلالها بضروب معاني التربية والمعالجة المتعدِّدة.

وقد حَفَلَتْ الأحداثُ الكبرى في السِّيرة النبويّة، نحو: (بدر، أُحُد، الأحزاب، تبوك ..) بآيات كثيرة تبلغ في بعضها العشرات من الآيات:

١. **أمَّا غزوة بدر** (رمضان ٢هـ)، فقد ذكر الله ﷻ طرفًا منها في سياق غزوة أُحُد (شوال ٣هـ) في سورة آل عمران (الآيات: ١٢٣ – ١٢٧)[١]، وسورة الحجّ (الآية: ١٩)[٢]، وأشبعها حديثًا في سورة الأنفال التي كان يسميها عبد الله بن عباس بـ: (**سورة بدر**).[٣]

٢. **وأما غزوة أُحد، ف:** "قد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أُمّهاتها وأصولها في سورة "آل عمران"؛ حيث افتتح القصّة، بقوله: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾ [آل عمران: ١٢١]، إلى تمام ستين آية".[٤]

٣. **وغزوة الأحزاب** (شوال ٥هـ)؛ ذكر الله أمرها، ووصف أطرافها ونهايتها، في الآيات (٩ – ٢٧) من سورة الأحزاب، ثم اختلفوا في الآيات (٦٢، ٦٤) من سورة النور[٥]، والآية رقم (٢١٤)

---

(١) من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٢٣– ١٢٤]. وانظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي – باب قصة غزوة بدر، تفسير ابن كثير ط. طيبة ١٤٢٠هـ (١١٢/٢).

(٢) وهو قوله تعالى:﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ [الحج: ١٩]؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: **سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ، يُقْسِمُ قَسَمًا: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ: "نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ، حَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ"**. رواه البخاري (٣٩٦٩، ٤٧٤٣) ومسلم (٣٤ – (٣٠٣٣).

(٣) صحيح مسلم ترقيم عبد الباقي ٣١ – (٣٠٣١). وقد نزلت سورة الأنفال كاملة عقب غزوة بدر.

(٤) زاد المعاد ط. مؤسسة الرسالة (١٩٦/٣).

(٥) وهي: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور: ٦٢ – ٦٤].

من سورة البقرة[١]؛ هل نزلت في غزوة الأحزاب أو في غيرها.

٤. **أمّا غزوة تبوك**؛ فقد ذكرها الله ﷻ في سورة التوبة، ابتداءً من الآية (٣٨)[٢] إلى قبيل نهاية السورة التي عدد آياتها: (١٢٩) آية.

***

## المقدِّمة الرابعة

## تمايُز المعالجة القرآنية للأحداث عن كتب السِّيَر والتواريخ

**لما كانت طبيعة القرآن تختلف جوهريًّا عن طبيعة كتاب التاريخ، كانت معالجته للحدَث مختلفة كذلك عن معالجة كتب السِّير والتواريخ. ولعلَّ مِن أبرز جوانب الفرق في هذا المجال:**

**١. انفراد القرآن الكريم بتقييم الأحداث والوقائع والحكم عليها واستخراج العبر والدلالات التربوية**، وعلى سبيل المثال؛ فإنّ ما ورد في القرآن الكريم عن "**حديث الإفك**" في "**سورة النور**" قد امتاز إلى جانب الوصف والتسجيل، بالحكم والتقييم؛ حيث قرر القرآن منذ البداية أنّ ما قيل وما يقال حول هذه الحادثة إنّما هو إفك وافتراء خرج به جماعة من المنافقين والمرجفين في المدينة الذين يريدون بالرسول ﷺ وبالدعوة كلّها شرًّا. ومِن ذلك أيضًا ما وقع للمسلمين في يومَي أُحد (شوال ٣هـ) وحنين (٨هـ)، وما يقابل ذلك ممّا وقع في يوم بدر (رمضان ٢هـ)؛ ففي اليومين التاليين لبدر؛ وأوّلهما يوم أُحد وفيه مِن النُّكوص عن طاعة النبي ﷺ، واستدبار أمره، واستقبال الغنائم قبل وجوبها، وفي يوم حنين وما وقع فيه مِن الإعجاب والاغترار بالكثرة. بخلاف هذا وذاك، فهذا يوم بدر؛ يوم أنْ كان المسلمون في العدد قلّة، ولكن كان كل واحد منهم في نفسه أُمَّة، يؤثر معاني الآخرة على معاني الغنيمة الحاضرة. والقرآن الكريم يُسَجِّل هذه المعاني ويبرز دلالاتها تسجيل العليم الحكيم، ويُعالجها معالجة المربِّي الخبير بما عليه عباده من الحاجة إلى التهذيب والتربية والتذكير والتعليم. وفي سياق واحدٍ يُسَجِّل الله ﷻ لأهل أُحُد أسباب نصر المسلمين في بدر، وبِلُطْفٍ دلاليٍّ يُلقِي في روعهم موجبات الهزيمة ليحذروها، فقال عزَّ مِن قائل في (الآيات ١٢٣ - ١٢٦) مِن سورة آل عمران: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ * بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ**

---

(١) وهي قوله تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾**.

(٢) قوله تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ...﴾** [التوبة: ٣٨].

**قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾**. ففي هذه الآيات الكريمات تقرير لِما كان عليه المسلمون يوم بدر مِن الذِّلَّة "بقلَّة العدد وقلَّة السلاح"(١)، ولكنهم كانوا أعزَّة مُشْرَبين بأسباب النصر، من الصبر والتقوى والطاعة؛ فقيل لأهل أُحُد: إنْ تصبروا كما صبروا، وتتقوا كما اتقوا، لأمدَّكم الله ﷻ بمددٍ مِن عنده، ولكنهم لم يُحقِّقوا هذه الشروط، فتخلَّف عنهم المدد، واستدبرهم النصر. **أمَّا يوم حنين**؛ فهو تسجيل تربويٌّ، وتقييم للحالة التي كان عليها المسلمون: **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة: ٢٥، ٢٦]. وهذا المشهد ليس تسجيلًا ظاهريًّا للحدث، وإنَّما هو تسجيل مِن خبيرٍ لِما كانت عليه النفوس مِن إعجاب واغترار بالكثرة، وفي ذلك تقييم تربويٌّ لمعايير وأسباب النصر والهزيمة، وأنَّ النصر ليس بالكثرة الظاهرة التي لا تلبث أنْ تنقشع عند الخطوب المزلزلة، وإنَّما النصر حالةٌ تنشأ ابتداءً في دواخل النفس المؤمنة، وبذرة تمتد في أعماقها، حتى إذا حان الحين؛ تفجّرت ينابيع النصر، وتدّفَقَت وزَلْزَلَت. وهكذا يكون الدرس وتسجيل القيمة.

**وفي الجملة**؛ ففي كل معركة من معارك الإسلام – بدر، أحد، إجلاء بني النضير، الأحزاب، صلح الحديبية، حنين، تبوك ... — عبرة، ولعل من أهم عِبَر غزوة بدر أنّ الحقّ سبحانه يجعل النصر لمن يستحقّه، ولو كان بعيد المقاربة من عوامل النصر المادية عددًا وعدّة، وخاصة إذا كانت العصبة المؤمنة مقدّمة أهل الإسلام، التي جعلها الله حاملة أمانة التبليغ والداعية لدِينه، كما يُعبِّر عن ذلك قول المصطفى ﷺ: "**اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ**".(٢)

وأعظم عبرة في قصّة أحد أنّ الإخلال بطاعة القيادة قد يقلب المعركة رأسًا على عقب، فيعود النصر هزيمة، ولا تشفع حينئذ التقديرات الفرديّة، ولو كانت بحسن نية؛ فأمر الأُمّة والدولة لا يستقيم إنْ لم يكن فيها رأي مطاع، وقائد تستجيب الجموع لأمره. ومِن عِبَر حادثة الأحزاب، أنّه متى تكالب الأعداء على الأُمّة وقد أخذت كامل أهبتها، ولكن موازين النصر المعهودة بعيدة جدّ بعيدة؛ فإنّ لله جنودًا يحقّقون نصره لعباده بما لا يحتسبون، وعِبَر أخرى يأتي الحديث عنها إنْ شاء الله، وهكذا في بقيّة أحداث السيرة.

٢. **الانتقال بالحدَث من الخصوص إلى العموم**؛ فالحدَث الذي ترويه كتب السيرة يبقى مجرّد حدث مرتبط بزمانه ومكانه وأشخاصه، لكنه عندما يُروَى في القرآن الكريم يتحوّل إلى درس يتجاوز ظروف الحدث مكانًا وزمانًا وأشخاصًا إلى حيث يصبح قضية عامّة، ومبدأً يعامل به كل المسلمين في

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت ١٤١٥هـ (ص٢٣٠).
(٢) صحيح مسلم (١٧٦٣).

كل زمان ومكان متى تشابهت ظروفهم وظروف هذا الحدث الخاص؛ ومِن ذلك "**حديث الإفك**" الذي انتقل به القرآن الكريم من الوقوف أمامه كحدث بعينه في ظروف خاصّة، إلى اعتباره قضية من قضايا صيانة عرض المسلم، ووجوب توفير الحماية له، واعتبار إشاعة الفاحشة في مجتمع المسلمين أو النَّيل من أعراض المحصنات الغافلات بغير دليل يقينيّ – هو أربعة شهود عدول – من الأمور الخطيرة عند الله التي يجب اعتبار فاعلها من المفسدين في المجتمع الإسلام الذي تجب حمايته منهم في الدنيا بالحدّ، وفي الآخرة بالوعيد الشديد، على نحو ما قال سبحانه: ﴿**إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النور: ١٥ – ١٩]. إلى قوله: {**نَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**} [النور: ٢٢ – ٢٥]. فهذا التفصيل الدقيق المقرون بالتقييم والتوجيه، وتحديد التبعات والعلاقات بين الناس في مجتمع الإسلام، يجاوز فيه النصّ القرآني بالحدث ما وقفت عنده كتب السيرة ليصبح الحدث في ذاته مجرد مثل أو نموذج يحدد القرآن سماته ويضع له حدوده وأحكامه.

ومن الأمثلة كذلك على انتقال القرآن الكريم بالحدَث من الخصوص إلى العموم؛ **ما قصّه الله ﷻ علينا مِن واقعة المجادِلة التي جاءت تشتكي زوجها**؛ فانتقل بها النصّ القرآني من بُعْدِ الحدث الخاصّ إلى قضيّة تشريعيّة عامَّة: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ * وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المجادلة: ١ – ٤].

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٥٢]؛ الذي انتقل به القرآنيّ مِن السياق الخاصّ في بعض نفرٍ عَلِمَ النبي ﷺ إيمانهم،

فهَمَّ بالانصراف عنهم رغبةً في دعوة بعض الكبراء إلى الإسلام الذين أشاروا بطردهم؛ إلى السياق العامّ في كلِّ مَن كانوا على شاكلتهم، في سياق عامٍّ لا تَحُدُّه أسماء ولا يَضِيق به زمان دون زمان.(١)

**٣. امتياز العرض القرآني بالأسلوب والبيان المعجز الذي تكتسب الكلمات والجمل فيه حيوية دفّاقة**؛ تجسّم الحدَث وتحيطه بالإيحاءات والظلال، وتنقل القارئ والمستمع إلى جوّه كأنّما يعيش أو يشارك فيه، وذلك ما لم يتوفّر ولن يتوفّر لأيٍّ من كتب السيرة في القديم والحديث. ومن الأمثلة على ذلك تصوير ما كان عليه المسلمون يوم بدر (رمضان ٢هـ): ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾ الآيات [الأنفال: ٩ - ١٢]. وما كان عليه المسلمون كذلك يوم الأحزاب (شوال ٥هـ): ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]. ومِن ذلك التصوير القرآني لبعض أحداث غزوة تبوك (رجب ٩هـ): ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، ومنه تصوير توبة الثلاثة الذين تخلّفوا عن هذه الغزوة: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [التوبة: ١١٨].

**٤. انفراد القرآن الكريم بالنفاذ إلى البواطن والضمائر، واستخراج ما تكنّه مِن خفيّات**؛ فلإنْ وقفت كتب السِّيَر والتواريخ عند تسجيل الأحداث والتصرُّفات الظاهرة للعيان؛ فإنَّ القرآن الكريم بما له من صفة الإلهيّة؛ ينفذ إلى الأعماق والنفوس، ويستخرج الكامن مِنها؛ مِن ذلك قول الله ﷻ لنبيِّه ﷺ في سياق تحريم التبنّي: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ...**﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]. وكما في حديث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن المنافقين وكشف حقيقة مواقفهم مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ مِن ذلك تعذّرهم عن التخلُّف عن رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب

(١) راجع: صحيح مسلم ٤٦ - (٢٤١٣).

بأنَّ بيوتهم عورة، فقال تعالى: ﴿**وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾ [الأحزاب: ١٣]. ولقد كشف القرآن الكريم ما عليه المنافقون من الحذر أنْ يُنَزِّل الله ﷻ على المؤمنين سورة تفضحهم وتعرِّي دواخلهم وتكشف ما تضمره قلوبهم: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ [التوبة: ٦٤]. قال مجاهد: "**يَقُولُونَ القَوْل فِيمَا بَينهم، ثمَّ يَقُولُونَ: عَسى الله أَن لَا يفشي علينا هَذَا**". وعن قتادة، قال: "**كانت هذه السُّورة تسمَّى: الفاضحة، فاضحة المنافقين، وكان يقال لها: المثيرة؛ لأنها أنبأت بمثالبهم وعوراتهم**".[1]

***

(١) تفسير ابن أبي حاتم ط. مكتبة نزار ١٤١٩هـ (٦/ ١٨٢٩)، الدر المنثور ط. دار الفكر (٤/ ٢٢٩). وانظر: انظر: السيرة النبوية في القرآن الكريم، د. عبد الصبور مرزوق، ط. الهيئة العامّة المصرية للكتاب (ص١٨ – ٢٠، ٢٨ – ٣١).

## المبحث الثاني

## التربية القرآنية في ضوء السيرة النبوية

**هذا المبحث يُقَدِّم نموذجًا لمعالجة القرآن الإيمانية التربوية من خلال تناول السيرة النبوية، وقد آثرنا أن يكون النموذج مصنوعًا من مثالين:**

**الأول**: حدث كامل من أحداث السيرة النبوية، وكيف عالجه القرآن وثبّت فيه معالم التربية الإيمانية.

**الثاني**: أخلاق قرّرها القرآن في أكثر من مناسبة وهو يعالج حدثًا مِن الأحداث أو واقعة من الوقائع في زمن النبوّة.

## المثال الأول

## المعالجة القرآنية التربوية لحدث كامل من أحداث السيرة النبوية

## (غزوة الأحزاب)

الآيات التي تحدثت عن غزوة الأحزاب معظمها في سورة الأحزاب؛ حيث بلغت آيات الغزوة في هذه السورة تسعًا وعشرين آية، من الآية التاسعة: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩] إلى الآية السابعة والعشرين: ﴿**وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢٧].

جريًا على سنن القرآن في معالجة أحداث السيرة؛ حيث لا يحتفل بذكر التفاصيل، ودقائق مجريات الأحداث، وإنما يعمد لمعالجة الحدث من خلال أبعاده الإيمانية، ومناحيه الأخلاقية، وخلجات النفس البشرية وهي تتقلب في صروف الحدث؛ فتتنازعها المشاعر المتعددة، والحسابات الكثيرة، والعلاقات المتشابكة، والآمال المقبلة؛ فيعود الحدث بهذه المعالجة القرآنية مدرسة تتعلَّم منها الأجيال، لا كتاب تاريخ يَلتذّ بقراءته المؤرخون والمثقفون والهواة.

ينتقل الحدث في السياق القرآني من ظرفه التاريخيّ، وواقعه الجغرافيّ، إلى منارات تسوق النفس البشريّة إلى دروب الرشاد، ومواطن الحق؛ خاصّة وأنّ الأحداث في ساحة التاريخ تتشابه، والشخوص تتجانس، والغايات تكاد تكون صورة مُنْتَسَخَة من بعضها، فكأنّ حدث اليوم هو ذلك الحدث الواقع بالأمس.

غزوة الأحزاب كانت في (شوال ٥هـ)، وغزوة أُحد كانت في (شوال ٣هـ)؛ فبينهما عامان على التمام والكمال؛ أصاب المسلمين في أُحد ما أصابهم مما هو معلوم؛ فقُتِل مِن خيارهم مَن قتل، وظهرتِ الشّماتةُ مِن أعدائهم جرّاء ما نالوا مِن أهل الإيمان. وبين أُحد والأحزاب مرارات ذاقها المؤمنون؛ ففي أواخر سنة ثلاث – أو أربع على خلاف بين كُتّاب السيرة – قدم على النبي ﷺ قومٌ مِن عَضَل والقارَة المضريَّين، وذكروا أنّ فيهم إسلامًا، وسألوه أنْ يبعث معهم مَن يُعلِّمهم الدِّين، ويُقرِئهم القرآن؛ فبعث معهم نفرًا من أصحابه لا يتجاوزن العشرة، فمكروا بهم وقتلوهم وقتلوا آخرهم – خُبَيْب وزَيد بن الدَّثِنَة – صبرًا بمكة.(١)

وفي شهر صفر من السنة الرابعة كانت وقعة (**بئر مَعُوْنَة**)(٢) التي تعرف بـ: (**سريّة القُرّاء**) وكانت مع بني رِعْلٍ وَذَكْوَانَ (٣) قِبَل نَجْدٍ، ذهب ضحيتها سبعون رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ في قصةِ غدرٍ أخرى كان رأسها المدبِّر أبا براء عامر بن مالك، ملاعب الأسنَّة. إنّه لَكَلْم على كَلْم، ووجع على وجع، وجرح على جرح؛ فكانت هذه النفوس المؤمنة أشدّ ما تكون حاجة لمن يأسوا جراحها، ويُسَرِّي عنها ما ألَمَّ بها، ويُذَكِّرها بسُنّة الله في تدافع الحق والباطل، ومن يدري فلعلّ في مستقبل الأيام كربة، ولعل ذلك سبب نزول الآية من سورة البقرة: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤]. **وهذه الآية تضع المسلم بين حقيقتين؛ حقيقة** أنّ درب الحق محفوف بالمكاره، مفروش بالأشواك، مليء بأهل الأهواء والضلالات الذين يقدِّمون في سبيل الله ضلالاتهم الكثير والكثير من النفس والمال والجهد، **وحقيقة** أن نصر الله قريب من أهل الإيمان متى استمسكوا بدينهم، وذادوا عن عقيدتهم، وعمرت قلوبهم بيقين النصر من ربهم؛ أمّا **الحقيقة الأولى** فتُرَبِّي على الصبر، **والحقيقة الثانية** تُربِّي على اليقين؛ فالصبر يهّون مرارة الحاضر، واليقين يَعِدُ بحلاوة المستقبل، وبينهما سير المؤمن بكل عزة وثبات.

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ط. مكتبة الحلبي (١٦٩/٢ – وما بعدها)، الروض الأنف، ت: عبد الرحمن الوكيل (١٨٣/٦ – وما بعدها).

(٢) (**بئر معونة**): قال ابن إسحاق: بئر معونة بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم. معجم البلدان لياقوت (٣٠٢/١).

(٣) انظر: مغازي الواقدي ت: مارسدن جُونس ١٤٠٩هـ (٣٤٦/١)، فتح الباري (٣٧٩/٧ – ٣٨٠)، المواهب اللدنية للقسطلاني (٢٦٠/١)، تاريخ الخميس (٤٥٤/١، ٤٧٥ – ٤٧٦).

على أن هاتين الحقيقتين ليستا حالة خاصة يخاطَب بها محمد ﷺ وصحبه، ولكنها سنة الله في عباده المرسلين وأتباعهم من المؤمنين، وذاك ينفي الإحساس بوحشة التفرُّد، ويوجِد الأُنسَ بالانخراط في قافلة أهل الإيمان على مدار التاريخ، ويزيده اطمئنانًا بحصول الموعود.

ولقد كان لهذه الآية أثرها العظيم في ثبات أهل الإيمان في كرب الأحزاب، واطمئنانهم إلى نصر الله في ساعة الحرج والضيق -كما سيأتي إن شاء الله-.

**أمّا آيات سورة الأحزاب؛ فترسم حدث الأحزاب في مقاطع حافلة بالتوجيهات الإيمانيّة، والمعاني التربويّة،** أكثر من اشتمالها على على إحصاء جامدٍ للأحداث، أو تفصيلات للوقائع لا يتسع لها المقام القرآنيّ..

**المقطع الأول:**

قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾ [الأحزاب: ٩ - ١١].

تحمل هذه الآيات أمر الغزوة من أوّلها إلى آخرها؛ لتتكشّف فيها معنى الرعاية والحفظ من الله للجماعة المؤمنة: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩].

فالله يسبغ نعمته عليهم بعد أنْ تحزّب عليهم النّاس؛ فيفكّ عنهم هذا الحصار، ويزيل عنهم هذا الكرب بسببٍ من عنده؛ فيرسل رِيْحًا عاتية(١)؛ لا تدع قِدْرًا إلّا كفأته، ولا خيمة إلّا اقتلعتها، وهي تحمل البرد القارس، مع عتوٍّ في حركتها، وصفيرٍ في هبوبها يولِّد الفزع، ويُذْكِي الخوف، ويَزرعُ الرهبة.(٢)

---

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**». صحيح البخاري (١٠٣٥، ٣٢٠٥، ٣٣٤٣، ٤١٠٥)، صحيح مسلم ١٧ - (٩٠٠).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي ت: عبد المعطي قلعجي ١٤٠٥هـ (٤٤٨/٣)، سبل الهدى والرشاد للصالحي، ت: عادل عبد الموجود، علي معوض (٣٨٦/٤ - ٣٨٧)، الدر المنثور للسيوطي (٥٧٣/٦).

وهناك جنود الرحمة من الملائكة؛ يزرعون في نفوس هذه الأعداء الخوف والرعب والهلع والفزع، مع أنهم أكثر عددًا وأوفر عُدَدًا؛ فهم عشرة آلاف، ومحمد ﷺ وصحبه رضي الله عنهم لا يجاوزون ثلاثة آلاف.(١)

وإذا كان معنى الالتجاء إلى الله، والتوكُّل عليه، والثقة به؛ مراد تقريره في النفوس من خلال هذا السياق القرآني؛ فإنّ الله لم يهمل ذِكر العمل، والمعاناة التي عاناها رسول الله ﷺ وصحبه؛ حيث عملوا ما يستطيعون، وكافحوا غاية ما يقدرون، واحتالوا على العدو بكل ما يعرفون من أنواع الكيد والتخطيط؛ فهم قد دبّروا مكيدة الخندق عندما سمعوا بتوجُّه تلك الجموع إليهم، فحفروا خندقًا بعُمقٍ "يصعب على العدو أنْ يَخرَج منه لو هبطه، واتِّساعٍ يصعب على خيل المشركين قفزه"(٢)، جعلوه بينهم وبين أعدائهم فيما سهل من الأرض، وأسندوا ظهورهم إلى جبل سَلْع، وحرسوا منطقة القتال ليلًا ونهارًا كلما رأوا من الأعداء محاولة للاقتحام صدُّوهم ورشقوهم بالنبل على مدى خمس وعشرين ليلة.

هذه الأعمال لم تذهب سدى، بل هي ببصر الله وعلمه: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩]. كل ذلك ليجمع المؤمن بين الثقة بربه، وبذل غاية ما يستطيعه من العمل؛ فالثقة بالعمل غرور، وترك العمل غفلة، ولن ينصر الله مغرورًا ولا غافلًا.

---

(١) سيرة ابن إسحاق (ابن هشام ٢١٩/٢ – ٢٢٠)، مغازي الواقدي (٤٤٤/٢)، الطبقات الكبير لابن سعد ط. دار صادر (٦٦/٢). وقيل: كان المشركون أربعة آلاف، والمسلمون نحو الألف. حكاه ابن حجر في فتح الباري ط. دار المعرفة – بيروت (٣٩٣/٧).

(٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ط. دار مكّة – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ (ص١١٤).

**وفي تقدير طول وعرض وعمق الخندق خلاف؛ فقيل**: إنّ طوله: (٥,٠٠٠) ذراع، وعرضه (٩) أذرع، وعمقه من (٧) أذرع إلى (١٠). انظر: السيرة النبوية للندوي دار ابن كثير – دمشق، ١٤٢٥هـ (ص٣٤٨)، السيرة النبوية الصحيحة للعمري ط. مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ١٤١٥هـ (٤٢١/٢). **وقيل**: طوله: (٥٥٤٤م)، متوسط عرضه: (٤,٦٢م)، متوسط عمقه: (٣,٢٣٤م). أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبو خليل ط. دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – دمشق. ١٤٢٣هـ (ص١٣٧). **وقيل**: طوله (٢٧٢٥م) بشكل قوس منفرج؛ مِن نهاية الحرّة الشرقية عند أجمة الشيخين شرقيّ ما يُعرَف به الآن بمسجد المستراح حتى ثنية حرّة بني سلمة إلى الشرق من القبلتين. الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين لمحمد غالي الشنقيطي، عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (ص٢٠٢ – ٢٠٤).

**ثم ترسم الآية الثانية والثالثة الجو العام لأمر الغزوة: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾** [الأحزاب: ١٠، ١١].

وهو جو الهول الفظيع الذي يرتسم في صور ثلاث؛ واقع العدو المادي، وصورة أثره على ظاهر البدن، وصورة أثره على باطن النفس.

**أمّا الواقع المادي،** فتلك الجموع التي يقودها أبو سفيان بن حرب ومعه قريش ومن تبعه من بني كنانة وأهل تِهَامة والأحابيش، وعُيينة بن حصن ومعه غطفان، والحارث بن عوف ومعه بنو مُرَّة، ومِسْعَر بن رُخَيْلَة ومعه أشجع، وإنْ شئتَ قُلتَ جزيرة العرب كلها نَجْدَها وتِهامتها - إلّا اليمن - قد تكالبت فرمت جماعة المؤمنين عن قوس واحدة بعد أنْ أفلحت دعاية اليهود ومكرهم في جمعهم لحرب المؤمنين - وتلك ثمرة مُرَّة لدهاء بني النضير الذين أجْلوا إلى خيبر فزيّنوا لقبائل العرب هذه الفعلة الشنيعة -، وهؤلاء هم المشار إليهم بقوله تعالى: **﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾** [الأحزاب: ١٠].

**ولكنْ هناك أقوام أقل عددًا، ولكنّهم أشرس وأعظم أثرًا، إنهم أعداء الداخل، وهم طائفتان؛** طائفة المنافقين وطائفة اليهود المشار إليهم بقوله تعالى: **﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** [الأحزاب: ١٠].(١)

وإنما نقول إنَّ هاتين الطائفتين أشرس وأخبث، وأشدّ وأنكى؛ لأننا نجد أنّ قبائل العرب أُجْمِل ذكرهم في آية واحدة بل بعض آية، وفصّل الله ذِكْرَ المنافقين واليهود في أحد عشر آية.

كل ذلك لنتعلَّم أنّ أعداءنا الخارجيّين لنْ ينالوا مِنَّا غاية ما يبتغون إلّا في حال تفكُّك جبهتنا الداخليّة بمن نثق بهم وليسوا أهلًا لثقةٍ، أو نحسن الظنّ بهم وهم لا يستحقُّون، أو نعاهدهم ولا يفون؛ فليكن الحذر من هؤلاء مثل الحذر من الأعداء الخارجيّين إنْ لم يكن أشدّ وأكثر.

---

(١) هذا أحد القولين في تفسير الآية، وفي سيرة ابن إسحاق (ابن هشام ٢٤٦/٢) - ومن طريقه ابن جرير في تفسيره ط. دار هجر (٣٤/١٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٤٣٦/٣) من طريقين أحدهما طريق ابن إسحاق - وكذلك في مغازي الواقدي (٤٩٤/٢) أنّ الذين جاؤوا مِن فوق، هم: بنو قريظة، والذين مِن أسفل: قريش وغطفان.

انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢١٥، ٢٤٥)، مغازي الواقدي (٤٩٤/٢)، دلائل النبوة (٤٣٦/٣)، جوامع السيرة لابن حزم تـ: إحسان عباس (ص١٨٦)، البداية والنهاية ط. دار هجر (٣٤/٦)، تفسير ابن كثير (٣٨٨/٦).

**والصورة الثانية لهول ذلك الموقف في رسم آثاره على النفوس في الجوارح الظاهرة والباطنة:**

قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**﴾ [الأحزاب: ١٠].

إنها صورة المفزوع الممتلئ خوفًا ورعبًا من أعدائه، ذاك غاية ما يكون من الكرب؛ فلا العين سكنت مِن تتابع لحظِها، ولا القلب سكن من خفقانه؛ بل كاد يطير فَزِعًا إلى الحنجرة يلتمس المخرج.

**في تحقُّق الصور الثلاث؛** كانت البلوى للمؤمنين، ووقع الزلزال عليهم، قال محمد بن مسلمة: "كان ليلنا بالخندق نهارًا، وكان المشركون يتناوبون بينهم، فيغدو أبو سفيان بن حرب في أصحابه يومًا، ويغدو خالد بن الوليد يومًا، ويغدو عمرو بن العاص يومًا، ويغدو هُبَيْرَة بن أبي وهب يومًا، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يومًا، ويغدو ضِرار بن الخطّاب يومًا؛ حتى عظم البلاء، وخاف النّاس خوفًا شديدًا".

نعم، لم تقع معركة يتصاول الجيشان فيها القتال، وإن كانت هناك محاولات مستميتة لاقتحام ذلك الخندق الذي أصبح حجر عثرة بين قريش وأتباعها وما تريد، حتى إنهم في جملة من الأيام شَغلوا رسول الله ﷺ عن الصلوات؛ أيامًا صلاة، وأيامًا أكثر من صلاة؛ الظهر والعصر والمغرب، حتى صُلِّيَت صلاة النهار في الليل، فقال ﷺ حينئذٍ: **"شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، صَلَاةِ الْعَصْرِ، مَلَأَ اللهُ أَجْوَافَهُمْ، وَقُبُورَهُمْ نَارً "**.(١)

وإن تعجب فاعجب من هذه اللغة القرآنية الآسرة حين تصف هذا المشهد بالابتلاء، والابتلاء عادة ما يكون وسيلة لغاية. ولقد كان هذا الحدث في غاية النفع لأهل الإيمان؛ فكان ابتلاء حسنت ثمرته، وزكى زرعه. كان ابتلاء كشف أهلَ النفاق، وفضح اليهودَ الخونة، ورَدَّ قُريشًا والأعراب المعتدية؛ فلم يعودوا لحرب محمد ﷺ إلّا لمامًا، بل كانت هذه الغزوة بداية الدائرة عليهم. ولذا فإن من أعظم ما يتعلَّمه المؤمن أنْ يُبصِرَ الحِكَم الإلهيّة، واللُّطف الربانيّ؛ فيما يسوقه الله من الأحداث، ولا يقف عند ظواهر الأشياء، وإنّما يستكنه أسرارها، ويستنبط حِكَمها، ويستثمر فوائدها.

***

---

(١) رواه البخاري (٤١١١)، ومسلم ٢٠٦ – (٦٢٨) واللفظ لمسلم.

**المقطع الثاني:**

وخُصِّص للحديث عن أهل النِّفاق، وقد كان حديثًا عن أفعالهم، لكنّه في الوقت نفسه كان حديثًا عن مكنونات نفوسهم، ورؤاهم في المستقبل في مشاهد متتابعة.

**المشهد الأول؛ كان رسول الله ﷺ وأصحابه يحفرون الخندق، فاعترضتهم صخرة في مكان من الخندق لا تأخذ فيها المعاول،** فشَكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأخذ النبي ﷺ المِعْوَل، فقال: "**بسم الله**"، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: "**الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا**"، ثم قال: "**بسم الله**"، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال: "**الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا**"، ثم قال: "**بسم الله**"، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال: "**الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا**".(١)

كانت هذه الحادثة عند أهل النفاق مصدرًا للتندُّر وبث الوهن في نفوس المؤمنين؛ كيف يَعِد محمد ﷺ هذه المواعيد، ونحن في حالة محصورة، لا يستطع الواحد منّا أنْ يعود إلى أهله ليقضي حاجته إلّا بعد أنْ يستأذن، فما هذه إلا مواعيد غرور، لا تستقيم على سُنَّة العقل، ولا تقبلها التجارب البشرية؟! ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [الأحزاب: ١٢].

**المشهد الثاني؛ أقوام من أهل النفاق يهمسون أحيانًا، ويرفعون أصواتهم أحيانًا، يزعمون** النصيحة، ويتدثّرون بالشفقة، ويتزيّون بالمعرفة؛ يدّعون النفاذ إلى بواطن الأحوال، واستشراف المآلات؛ **وقد كذبوا والله في جميع ذلك، كما كذبوا في قولهم الصّادر من جبنهم وخورهم، وظلمة قلوبهم وعقولهم:** يا أهل المدينة! ليس بهذا المقام بمقام لكم، فلتدعوه؛ إذْ لا طائل فيه،

(١) رواه أحمد ط. الرسالة (١٨٦٩٣) من طريق ميمون أبي عبد الله، عن البراء بن عازب ﷺ، به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ط. مكتبة القدسي (٦/١٣١): "**رواه أحمد، وفيه ميمون أبو عبد الله، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات**". وحسّنه ابن حجر في فتح الباري (٧/٣٩٧). **وأصله في صحيح البخاري** (٤١٠١) **من حديث جابر** ﷺ، قال: "**إِنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءُوا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: هَذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: "أَنَا نَازِلٌ"، ثُمَّ قَامَ وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لاَ نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ فَضَرَبَ، فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ، أَوْ أَهْيَمَ...**".

ولا ثمرة له، ولترجعوا إلى منازلكم ودياركم؛ تسلموا ممَّن أنتم واردون عليه من القتل، وهلاك النفوس والديار.

وإذا كانوا هم يدعون إلى ذلك بأقوالهم، فهم يمارسونه بأفعالهم؛ بكثرة الاستئذان، واختلاق المعاذير، تحلُّلًا من المشاركة الفاعلة في حفر الخندق: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَاأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾ [الأحزاب: ١٣]. فالآية كما تكشف عن أفعالهم، فهي تكشف عن دواخلهم؛ فما بيوتهم عورة، وما هم محتاجون للاستئذان، وما بهم خوف على محارمهم وعوراتهم، ولكنه الفرار الذي يتذرعون إليه بالكذب.

**وفي المشهد الثالث** وصْف لدواخل تلك النفوس؛ فهؤلاء المنافقون معدودون من أهل الإيمان ظاهرًا، ولكن واقع أمرهم أنّ عقيدتهم واهنة ليست بصادقة، فهم يُظهِرون الإيمان، وتعتمل في دواخلهم عقيدة الكفر والشك؛ ولذا لو حصل لأهل الإيمان هزيمة، ودخلت جنود الشرك المدينة؛ لكانوا أسرع الناس إلى الردّة المعبَّر عنها بالفتنة، غير متلبِّثين ولا متردِّدين إلا قليلًا من الوقت، أو إلّا قليلًا منهم يتلبّثون شيئًا ما قبل أنْ يستجيبوا ويرتدُّوا، ثم يقدمون على هذه الفعلة الشنيعة: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا**﴾ [الأحزاب: ١٤].

**وفي المشهد الرابع** تذكير بتاريخ هذه الفئة؛ فهؤلاء قوم لم تزل أقدامهم راسخة في النكول والنقض؛ فقد كان منهم في أُحد ما كان؛ حيث رجعوا بثلث الجيش عن رسول الله ﷺ، فلما أدركوا قبح فعلهم، وخافوا على أنفسهم؛ احتموا بعهود ومواثيق أنهم لن يعودوا لمثل تلك الأفعال، وسيكونون عونًا للمؤمنين على أعدائهم؛ فلمّا وقف الأعداء بالباب، نكثوا عهودهم ومواثيقهم، وعادوا لسوء صنيعهم: ﴿**وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا**﴾ [الأحزاب: ١٥].

**وفي المشهد الخامس** تكثيف الحديث عن المعنى التربويّ الذي يستفيده المسلم من موقف هذه الفئة : ﴿**قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب: ١٦]. الموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه، بل وفي موعده، لا يستقدم ولا يستأخر. ومِن الوهم الذي يمارسه من تغيب عنه هذه الحقيقة، أنْ يظنّ أنه حين يبتعد عن الثبات في موقف يجب عليه الثبات فيه، أنّ ذلك ينجيه من الموت، أو يقرّبه من السلامة؛ فما شأن المؤمن هكذا، ولكنْ شأنه الاستسلام لأمر الله، والطاعة له ولرسوله، والوفاء بالعهد مع

الله في السرّاء والضرّاء، وسيكون الموت أو القتل في ساعتة التي كُتِبَ فيها في اللوح المحفوظ. إنَّ الأمور بيد الله يجريها وَفْق الحكمة الربانية، ولا قوّة أعظم من قوّة الله، ولا مهرب ولا ملجأ من الله إلّا إليه، فلتستقرّ القلوب على الإيمان به، والتوكُّل عليه: ﴿**قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ١٧].

**والمشهد السادس** في تعاملهم مع مَن لم يخرج بعدُ إلى موطن المعركة، ولكنه يحدِّث نفسه بالخروج؛ فهم يعوّقونه عن الخروج بالتخويف والتوهين، وأمّا مَن خرج فإنهم يستدرجونه ليعود، وذلك شأنهم الدائم؛ فهم لا يثبتون في مواقف الدفاع، ولا يشاركون في الحروب ولا يدعون أحدًا يشارك إلا اعترضوه: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب: ١٨].

**وفي المشهد السابع** وصف لدواخل تلك النفوس التي جبلت على الشُّحّ والبخل بكل صوره؛ فهم شحيحون بأنفسهم فلا يشاركون في قتال، شحيحون بأموالهم فلا يشاركون في نفقة، بل شحيحون حتى بمشاعرهم؛ فإذا حمي الوطيس، واشتدّ الخوف؛ انخلعت قلوبهم من أجوافهم، واستدارت أعينهم شأن الذي غشيه الموت؛ كأنهم يستدرُّون بهذا عطف أهل الإيمان. أما إذا ذهب الخوف وزالت الكربة، فتلك نفوس لئيمة أشدّ ما تتصوّره من اللوم؛ فلهم ألسنة كالحديد يَفْرُونَ بها أعراض المسلمين، ويقطّعون بها لحومهم، ويهتكون بها ستورهم. فهم شحيحون بكل خير، ولا غرو؛ فإنهم ليسوا من الإيمان في نقير ولا قطمير: ﴿**أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ [الأحزاب: ١٩].

ألَا يتعلَّم المؤمن أنْ يكون كريمًا لا شحيحًا؛ كريمًا بنفسه يبذلها لله نُصرةً وجهادًا وحضورًا في كل ميدان يحبّه الله، كريمًا بماله يبذله في مراضي اللهِ مِن جهادٍ وبذلٍ للمعروف، ورعاية لفقير أو مسكين، كريمًا بمشاعره وأحاسيسه، يألم لما يألم له إخوانه، ويأسى لما يأسون، ويفرح لما يفرحون، كريمًا في كل موطن ليظفر بكرم الله، لا شحيحًا فيعاقَب بخذلان الله.

**وفي المشهد الثامن** وصف لحالهم بعد أن زالت هذه الغمة وانكشفت تلك الملمة: ﴿**يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٠].

هُم قومٌ ذَهَبَ الهلعُ بِهِم كل مذهب، حتى بعد أنْ انقمعَ الأحزاب عن المدينة، وقفلوا راجعين خائبين، لم يصدِّقوا بعدُ أنهم ذهبوا، فهم ما يزالون يرتعشون ويتخاذلون، فإنْ قاوموا هذا الخوف، فهم يودُّون مِن كلِّ أفئدتهم ألّا يكونوا في المدينة إن جاء الأحزاب مرة أخرى، بل يكونون في البوادي والصحاري، يتلقطون الأخبار عن محمَّدٍ ﷺ وصحبه، لعلهم يشتفون بخير تبرد به أفئدتهم الحرّى على المؤمنين، على أنهم لو كانوا فيكم وجاء الأحزاب مرة أخرى لن يقاتلوا إلّا قليلًا، وربما كان ذلك القليل ليخادعوا المسلمين أنهم منهم، أو ربما كان ذلك القليل في الدفاع عن ذواتهم إذا مسّهم الأذى المباشر.

**على كلٍّ**، هذه صورة ترسم الجبن والخوف في أجلى تجليّاته، وتكشف عن نفوس المنافقين في المجتمع المسلم. وإذا كانت هذه النفوس بهذه الدرجة المليئة بالخوف والجبن، فحريّ بأهل الإيمان ألّا يَعُدُّوهم نصيرًا، ولا يعتبروهم ظهيرًا؛ فتبًّا لهم وتعسًا فليسوا ممَّن يُبالَى، بل هم إلى الضُّر أقرب، وبالخذلان أحقّ وأولى، إنّما ينتصر الحقّ بالمؤمنين الصّادقين، وسيأتيك خبرهم بعد حين.

***

**أما المقطع الثالث:**

**فعن رأس هذه الأُمَّة ومُقدَّمها (رسول الله ﷺ)** قائدها إلى كل خير، ودليها على كل فضيلة، وأوّلها إلى كل معروف وإحسان؛ أشجعها قلبًا، وأثبتها موقفًا، وأعظمها يقينًا: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢١].

ربما كان سبب الاختصار في هذا المقطع، أنَّه ﷺ كان صفحة مكشوفة يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها؛ فهم لا يحتاجون أنْ يحدثوا بتفاصيل عن نفسه؛ فنفسه كفعله، وفعله كنفسه، وإنما يحتاجون إلى حثٍّ وتأكيد؛ لاتخاذه أُسوة يتأسَّون بها، وقدوه يتبعونها.

**هو ﷺ أسوة لأصحابه في المساواة؛ ها هو يشاركهم العمل**؛ يحفر كما يحفرون، وينقل التراب كما ينقلون، يضرب بالفأس، ويجرف بالمسحاة، ويحمل في المكتل، حتى يغطي التراب بطنه الشريف من كثرته(١)، ويردِّد معهم الأهازيج:

"**اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ * فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ**"(٢)

---

(١) صحيح البخاري (٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦) من حديث البراء ﷺ.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٣٤)، ومسلم ١٢٨ - (١٨٠٥) من حديث أنس ﷺ.

**اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَــا * وَلاَ تَصَدَّقْنَــا وَلاَ صَلَّيْنَا**
**فَـأَنْــزِلَـــنْ سَكِينَةً عَلَيْنَـــا * وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا**
**إِنَّ الأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَـا * إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَـــا**(١)

كم هي السعادة، وكم هو اليقين الذي يعمر قلوبًا ترى قائدها ينخرط في عملٍ يأمرها به؛ لا يُحسِن صناعة التمثيل، ولا يستنكف عن المشاركة في العمل.

**هو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في الثقة بالله، واليقين بموعوده؛** يضرب الصخر فيريه الله العلامة المفرحة لأُمَّتِه؛ فيكبِّر بأعلى صوته تكبير الفتح، ويقول لهم: أبشروا. ولقد امتلأت سيرته صلوات الله وسلامه عليه بهذه الثقة في الله في أشدِّ الحالات حلكة واسودادًا، وهكذا شأن المؤمن، لا تزيده الشدائد إلّا ثقة بربه، فهو يعرف أنّ تلك الشدائد تغسل منه أوضارًا، تحول بينه وبين أن يكون نفسًا نقيّة تستحق النصر.

**هو أسوة صلوات الله وسلامه عليه حينما يغرس في أُمَّتِه مبدأ الاستشارة؛** فلا يقطع أمرًا دونهم؛ بل ينزل على رغبتهم وما يشيرون به، لا يتعذّر عن ذلك بدعوى أنّه نبي، ولا يستنكف عن ذلك برؤية أنه أكثر خبرة، وأحدّ حُنْكَة، وأبصر بمواقع الأمور. ومِن ذلك ما كان منه ﷺ مِن شأن حفر الخندق(٢) وكان الذي أشار بذلك سلمان الفارسيّ رضي الله عنه فيما ذكر أصحاب المغازي(٣)، وعدوله ﷺ عن الصُّلح مع غَطَفان بعد استشارة سَيِّدَي الأنصار.(٤)

---

(١) صحيح البخاري (٢٨٣٧، ٣٠٣٤، ٤١٠٤، ٤١٠٦، ٦٦٢٠) ومسلم ١٢٥-(١٨٠٣) من حديث البراء.

(٢) ولأهمية حفر الخندق سُمِّيت غزوة الأحزاب به، وبوّب البخاريُّ في كتاب المغازي: "**باب غزوة الخندق وهي الأحزاب**"، ثم أخرج (٤١٠٦) حديث البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، قَالَ: "**لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ...**".

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٢٤)، الروض الأنف (٦/٣٠٦)، السيرة النبوية لابن حبان ط. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ (١/٢٥٥)، فتح الباري (٧/٣٩٢ – ٣٩٣).

(٤) روى ابن إسحاق في المغازي (سيرة ابن هشام ٢/٢٢٣) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٤٣٠) أنّ النبي ﷺ لما اشتدّ البلاء، استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة في الصلح مع غطفان، فممّا قال لهما: "**والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم**". ورواه الطبراني في المعجم الكبير ت: حمدي عبد المجيد السلفي (٦/٢٨-٢٩) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، بنحوه، قال الهيثمي في المجمع (٦/١٣٣): "**فيه: محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات**".

**وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في قوة الاتصال بربِّه؛** فقد كانت ليالي الخندق معمورة بالصلاة والدعاء كما دلَّ عليه خبر حذيفة ﷺ(١)، **كثير الشكر لربِّه على ما يصرفه عنه من كيد أعدائه؛ فكَانَ ﷺ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، يُكَبِّرُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الأَرْضِ ثَلاَثَ تَكْبِيرَاتٍ، ثُمَّ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ".**(٢) والأحزاب هنا في المشهور هي الطوائف التي تحزَّبت عليه ﷺ.(٣)

**وهو أسوة ﷺ لأصحابه في الرحمة والشفقة،** فحين رأى جابر ﷺ مخايل الجوع على وجهه ﷺ عاد إلى امرأته لتصنع طعامًا للرسول ﷺ، فما وجدَت غير طعام قليل يكفي للنبي ﷺ ونفر قليل، فأتاه جابر يخبره بما صنعت زوجته له من الطعام، فيصيح ﷺ في الناس: تعالوا إلى طعام جابر. نعم إنه طعام صنع له وحده، فإن يكن معه أحد فليكن نفرًا قليلًا؛ لكن ما كانت تلك النفس الرحيمة تستطيع أن تضع لقمة في فيها وأصحابه يعانون من الجوع ما يعانون.. أنَّى للنفوس الشريفة أن تستسلم للاستئثار فتعود من نفس أمة إلى نفس رجل واحد. وقد أكرم الله صاحب الكرم بالبركة في ذلك الطعام القليل، فأكلوا وشبعوا، وتركوا لأهل البيت ما يزيد عن حاجتهم، بل يقسمونه على الناس.(٤) والمواساة أصل في ديننا، خُطَّة شرعها لنا النبي ﷺ بفعله

---

(١) وفيه: "**لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصَلَّى رسولُ الله ﷺ من الليل هَوِيًّا...**". أخرجه أحمد (٢٣٣٣٤) والطبري في تفسيره (٢٦/١٩). و(**الهَوِيّ**): بالفتح: **الحين الطويل من الزمان. وقيل: هو مختص بالليل**. النهاية (٢٨٥/٥).

(٢) صحيح البخاري (١٧٩٧) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) انظر: البداية والنهاية (٦٧/٦ – ٦٨)، فتح الباري (١٩٠/١١).

(٤) أخرج البخاري (٤١٠٢) ومسلم ١٤١ – (٢٠٣٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتْ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، قَالَ: فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا، فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحَيَّ هَلًا بِكُمْ**»، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**»، فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ

وقوله، بل قد تفرض المواساة إجراءات تدبيرية تسلب الفرد بعض الحرية في حقوقه لما تبتغيه من تحقيق معنى الأخوة في الواقع؛ **كما في نهيه ﷺ عن ادّخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث من أجل الفقراء الذين نزلوا بالمدينة.**(١)

**وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في تدبير أمر الحرب**؛ يحسن سياستها، ويعدّ لها عدّتها، فاختار موقع المعركة، ووضع التدابير الوقائية من كيد العدو، ونظم جنده في موقع حريز؛ فظهورهم محميّة بالجبل، ووجوههم محميّة بالخندق، وهم لا يهدؤون ليلًا ولا نهارًا؛ يحرسون الموقع ويكافحون الأحزاب حتى لا يصيبوا غرّة بل إنه يبعث من يكشف له عن حال عدوه طلبًا لتوافق التدبير مع الكيد من العدو والتخطيط.(٢) على أنه ومع صلابته وقوته وإعداده للأمر عدّته، لا يمتنع من أن يبحث عن منفذ ينفس به عن أصحابه، ويدرأ به عنهم خطر الحرب؛ فالحرب في تعليماته ﷺ ليست هدفًا في ذاتها، بل هي مكروهة جدّ مكروهة، إلا في حالة الاضطرار، وخاصّة إذا كان في العدو قوة ظاهرة، وأعظم ما يكون في رد قوة العدو إيجاد الفرقة في صفّه، وغرز الشكّ بين فئاته؛ إنْ بالرغبة وإن بالرهبة؛ وكلاهما استعمله ﷺ في هذه الغزوة؛ أمّا الرغبة فتلك التي سلكها مع غطفان حين راوضهم على أن يأخذوا ثلث – وفي بعض

---

الَّذِي قُلْتِ لِي، فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِينَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوهَا**» وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُكَمَا هُوَ".

و(**السُّور**) بضم السين وإسكان الواو غير مهموز، لفظة فارسية، معناها: الوليمة والطعام الذي يُدعَى إليه. انظر: جامع الأصول ت: عبد القادر الأرناؤوط (٣٥٥/١١)، النهاية ت: الزاوي، الطناحي (٤٢٠/٢)، شرح مسلم للنووي ط. دار إحياء التراث العربي — بيروت ١٣٤٧هـ (١٣/ ٢١٦).

(١) روى مسلم ٢٨ – (١٩٧١) من حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ وَاقِدٍ، قَالَ: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ لُحُومِ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ**»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمْرَةَ، فَقَالَتْ: صَدَقَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ، تَقُولُ: دَفَّ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ حَضْرَةَ الْأَضْحَى زَمَنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ادَّخِرُوا ثَلَاثًا، ثُمَّ تَصَدَّقُوا بِمَا بَقِيَ**»، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُونَ الْأَسْقِيَةَ مِنْ ضَحَايَاهُمْ، وَيَجْمُلُونَ مِنْهَا الْوَدَكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قَالُوا: نَهَيْتَ أَنْ تُؤْكَلَ لُحُومُ الضَّحَايَا بَعْدَ ثَلَاثٍ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا نَهَيْتُكُمْ مِنْ أَجْلِ الدَّافَّةِ الَّتِي دَفَّتْ، فَكُلُوا وَادَّخِرُوا وَتَصَدَّقُوا**». وروى البخاري (٥٥٦٩)

(٢) **مِن ذلك ما كان منه ﷺ مِن بعث العيون والطلائع لكشف خبر العدو**؛ كما في بعْث الزُّبير عند البخاري (٣٧٢٠)، وبعْث حذيفة ﷺ عند مسلم ٩٩ – (١٧٨٨).

الروايات: النصف – ثمار المدينة تلك السنة، على أنْ يعودوا إلى ديارهم، ويتركوا قريشًا وما أرادوا. ولقد سال لعاب غطفان لهذا الإغراء، وأبدوا الموافقة عليه، بل إنّ بعض الروايات جاء فيها أنه قد كتب الكتاب، ولكنه كتاب مراوضة لم يُشهد عليه، ولم يُعزم عليه العزيمة التامة؛ انتظارًا منه ﷺ لرأي أصحابه، وقد كادت تتم الخُطَّة لولا إباء السَّعدين –سعد بن معاذ وسعد بن عبادة– لها، فإنهما لم يستمرئا أن يكون للأعراب الذين كانوا لا يفرحون بشيء من ثمار المدينة إلا بِشِرًى أو قِرًى أنْ يحصلوا على ما يبتغون بغير ذلك؛ على أن هذه الخُطَّة –لو تمت– تحمل في طيّاتها قَدْرًا من الاستسلام والذُّلّ لمن أعزّهم الله بالإسلام ورفع عنهم ذل الجاهلية، فكيف يحصل لغطفان في وقت عزة الأنصار ما لم يحصل لهم في وقت شركهم، وإنما الإسلام يزيد أهله ولا ينقصهم.(١)

وأما الرهبة، فكانت في تلك الخطة العجيبة التي دبّرها نعيم بن مسعود بإشارة منه ﷺ بتفريق صف الأحزاب وقريضة الناكثة في قصة يكبر فيها المرء دهاء نعيم، ولقد أفلحت تلك الخُطَّة، فزرعت الشكّ بين الفريقين، وفتَّت الصفَّين بإذن الله.(٢)

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢٨) من طريق مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ الْحَارِثُ الْغَطَفَانِيُّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، شَاطِرْنَا تَمْرَ الْمَدِينَةِ، قَالَ: "**حَتَّى أَسْتَأْمِرَ السُّعُودَ**"، فَبَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَحِمَهُمُ اللهُ، فَقَالَ: "**إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ**"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرًى، أَوْ قِرًى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ**». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٣٣) "**فيه محمد بن عمرو، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات**". وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٧٩٧١) من طريق أبي معشر، قال: "جاء الحارث بن عوف، وعيينة بن حصن، فقالا لرسول الله ﷺ عام الخندق: نكف عنك غطفان، على أن تعطينا ثمار المدينة، قال: فراوضوه حتى استقام الأمر على نصف ثمار المدينة ....". وفي سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٣) أنَّ النبي ﷺ أعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفان، ثلث ثمار المدينة على أنْ يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المراوضة في ذلك ....". إلخ. وانظر: الروض الأنف (٦/٢٧١).

(٢) قال ابن إسحاق: حدثني رجل عن عبد الله بن كعب بن مالك، قال: جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، ولم يعلم بي أحد من قومي، فمرني أمرك، فقال له رسول الله ﷺ: "**إنما أنت فينا رجل واحد، فخذِّل عنّا ما استطعت؛ فإنما الحرب خدعة**"، فانطلق نعيم بن

**وهو أسوة صلوات الله وسلامه عليه في معاملة الكاشحين بالعداوة، الناقضين للعهد من اليهود الآتي ذِكرهم**؛ فهو صلوات الله وسلامه عليه رحيم جدّ رحيم، لكن حين يصل الحال إلى موقف تستأصل فيه بيضة الإسلام، ويستباح فيه حماه، فلا هوادة حينئذ، ولتنل كل نفس عقوبة جنايتها، فسيان في ميزان الدين والعقل من حيث سوء التدبير أن توضع العقوبة في مواطن الرحمة أو توضع الرحمة في مواطن العقوبة.

***

مسعود حتى أتى بني قريظة، فقال لهم: يا معشر قريظة! – وكان لهم نديمًا في الجاهلية– إنِّي لكم نديم وصديق، قد عرفتم ذلك، فقالوا: صدقت، فقال: تعلمون والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة، إن البلد لبلدكم وبه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وإنَّ قريشًا وغطفان بلادهم غيرها، وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم، فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم، وخلوا بينكم وبين الرجل، فلا طاقة لكم به، وإن هم فعلوا ذلك فلا تقاتلوهم، حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، تستوثقون به منهم أن لا يبرحوا حتى يناجزوا محمّدًا، فقالوا له: لقد أشرت برأي ونصح. ثم ذهب إلى قريش فأتى أبا سفيان وأشراف قريش فقال: يا معشر قريش! إنكم قد عرفتم وذي إياكم، وفراقي محمّدًا ودِينه، وإني قد جئتكم بنصيحة، فاكتموا عليّ، فقالوا: نفعل، ما أنت عندنا بمتَّهَم، فقال: تعلمون أن بني قريظة من يهود، قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد. فبعثوا إليه ألَا يرضيك عّنا أن نأخذ لك من القوم رهنًا من أشرافهم، وندفعهم إليك فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك عليهم، حتى تخرجهم من بلادك؟ فقال: بلى! فإن بعثوا إليكم يسألونكم نفرًا من رجالكم، فلا تعطوهم رجلًا واحدًا واحذروا. ثم جاء غطفان، فقال: يا معشر غطفان! قد علمتم أني رجل منكم: قالوا: صدقت. فقال لهم كما قال لهذا الحي من قريش، فلما أصبح أبو سفيان، وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس وكان مما صنع الله به لرسوله ﷺ، بعث إليهم أبو سفيان بن حرب عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش، إنّ أبا سفيان يقول لكم: يا معشر يهود! إنّ الكراع والخف قد هلكا، وإنّا لسان بدار مقام، فاخرجوا إلى محمد نناجزه، فبعثوا إليه: إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم، لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمّدًا، فقال أبو سفيان: قدْ والله حذرنا هذا نعيم، فبعث إليهم أبو سفيان: إنّا لا نعطيكم رجلًا واحدًا، فإن شئتم أن تخرجوا، فتقاتلون وإن شئتم فاقعدوا، فقالت يهود: هذا والله الذي قال نعيم، والله ما أراد القوم ألا يقاتلوا معهم، فإن أصابوا فرصة، انتهزوها، وإلا مضوا فذهبوا إلى بلادهم، وخلوا بيننا وبين الرجل فبعثوا إليهم، إنا والله لا نقاتل معكم، حتى تعطونا رهنًا، فأبى أن يفعل؛ فبعث الله الريح على أبي سفيان وأصحابه وغطفان وجنوده التي بعث، فخذلهم الله. دلائل النبوة للبيهقي (٤٤٥/٣)، سيرة ابن هشام (٢٢٩/٢ – ٢٣١).

**المقطع الرابع:**

في وصف حال أهل الإيمان: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٣].

أولئك الذين أنزل الله لهم قبل عام سُنَّته في أوليائه وكيف يتعهّدهم بالتربية والرعاية من خلال ما يسوقه إليهم من الأحداث ليصفِّي تلك النفوس ويستخرج منها ما ليس لله، وليمحِّص صفوفها لتنفي المتعلقين الطامعين والهزالى الخوارين الذين لا يستقيمون على المبادئ إلا بمقدار ما تحقق لهم من نفع أو تدفع عنهم من مكروه، ذاك الوعد هو ما جاء في **سورة البقرة**: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ [البقرة: ٢١٤].

لقد وعت هذه القلوب المؤمنة ذلك الدرس جيِّدًا، فهاهم يُزَلزَلون، وتأتيهم الأحزاب مِن فوقهم ومن تحت أرجلهم، إذًا فنصر الله قريب، وفرجه سريع، ووعده حقّ لا مرية فيه. ولا تنافي بين ما تقرره هذه الآية، وما سبق في وصف الكرب والخوف؛ فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ "ناسًا من البشر؛ لا يملكون أن يتخلصوا من مشاعر البشر، وضعف البشر. وليس مطلوبًا منهم أنْ يتجاوزا حدود جنسهم البشري، ويفقدوا خصائصه ومميزاته. خلقهم الله ليبقوا بشرًا، لا ملائكة ولا شياطين، ولا بهيمة ولا حجرًا، كانوا ناسا من البشر يفزعون ويضيقون بالشدة ويزلزلون للخطر الذي يتجاوز الطاقة، لكنهم كانوا مع هذا مرتبطين بالعورة الوثقى التي تشدهم إلى الله وتمنعهم من السقوط، وتجدد فيهم الأمل وتحرسهم من القنوط".(١)

**والدرس الإيماني الذي ينبغي أنْ نستفيده،** أنَّنا إنْ ضعفنا مرة، وزُلزِلنا مرّات، وتفوّق علينا أعداؤنا بالعُدَّة، أو فاقونا بالتدبير، أو أحكموا علينا الخطة؛ فعلينا أنْ لا نفقد الثقة في ربنا وديننا وأنفسنا، ونعتقد أننا لم نعد نصلح لشيء أبدًا؛ علينا أنْ نَعُود لربِّنا؛ نستمسك بديننا، وندافع عن عقيدتنا في غير توانٍ ولا كسل، وسيحقِّق الله لنا ما وعدنا؛ فإنَّ وعده حق وصِدق.

---

(١) الظلال (٥/٢٨٤٤).

هذه الكُرَب التي تنزل بأهل الإيمان، يسوقها الله ﷻ لحِكَم عظيمة، لا ينجح فيها إلّا الصادقون، فيصطفي الله من عباده أقوامًا يرفعهم إليه، ويكرمهم لديه، ويدَّخِر أقوامًا ليقودوا سفينة الإسلام إلى مواطن أخرى، وبيئات أخرى، ونجاحات أخرى. ومن ذهب إلى الله وهو بهذه النية فهو صادق، ومن أبقاه الله وهو بهذه النية فهو صادق. الذين ذهبوا في معركة الخندق لا يصلون إلى عشرة في أكثر التقادير؛ ذهبوا إلى ربهم وهم صادقون، والذي بقوا يشدُّون عضد النبي ﷺ صادقون..

وختام مَن ارتقى إلى ربه من الصادقين في هذه الغزوة؛ سعد بن معاذ بعد أنْ دعا ربه هذا الدعاء الخفيّ: **"اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ ﷺ وَأَخْرَجُوهُ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ فَأَبْقِنِي لَهُ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكَ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا". فَانْفَجَرَتْ مِنْ لَبَّتِهِ .. فَإِذَا سَعْدٌ يَغْذُو جُرْحُهُ دَمًا، فَمَاتَ مِنْهَا** رضي الله عنه.(١)

**ومن أعظم ما يتربَّى المؤمن عليه،** البصر بحكمة الله في تدبير الأحوال؛ فما كان من شيء من الأمور إلا وفيه حكمة التدبير من الحق جلا جلاله؛ فما وقع في الخندق وغيره إنما هو وَفْق هذه الحكمة: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وجزاء الصادقين ليس بالنصر فقط، بل مَن استشهد فقد جوزي بصدقه، ومن بقى وأظهره الله على الكافر فقد جوزي بصدقه. وأما المنافقون؛ فالأحداث تظهر ما خفي من أحوالهم، فيبقى بعضهم على غشه ودغله؛ فيعذّبه الله، ويريد الله لقلوب بعضهم الخير فتهتدي، وتترك التردُّد والشكّ والريب، فيكرمها بصدق الإيمان والتقوى.

***

**المقطع الخامس:**

قوله تعالى: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢٥ - ٢٧].

فيصف ختام هذه المعركة في جانبها الخارجي الذي أشار إليهم بوصف: ﴿**مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾ والداخلي الذي أشار إليهم بوصف: ﴿**وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾[الأحزاب: ١٠]، هاهي قريش

---

(١) صحيح البخاري (٤١٢٢). و(**يَغْذُو**): يعني: يسيل دمًا. انظر: جامع الأصول (٨/ ٢٧٥).

وأتباعها، وغطفان وأتباعها، تجر أذيال الهزيمة، يعودون بأشد الخسار، وبأشدّ ما يعالجون من الغيظ؛ فلا جموعهم أفلحت، ولا خططهم نجحت، ماذا بقي معهم وقد خسروا معركة جمعوا فيها كل طاقاتهم من ساحل البحر الأحمر إلى أعالي نجد، وتواصلوا مع اليهود في شمال الجزيرة، وتخللوا المجتمع الإسلامي، فأغروا اليهود بالنكث والغدر؛ إنها الخسارة التي ليست بعدها خسارة، بل النهاية التي ليست بعدها نهاية، وهنا يقرأ المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المستقبل بحسّ السياسي الخبير، والقائد الملهم: "**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا**".[1] وقد كان الحال كما قدّر ﷺ، فلم تقم لتلك القبائل قائمة بعد ذلك اليوم سوى حركات ضعيفة هي أشبه بحركات الذبيح منها بإقدام المعافى. لكن هذا الانتصار يجب أن يبقى في حسّ المؤمن مقرونًا بتوفيق الله وتدبيره؛ ولهذا ينسب الحقّ سبحانه النصر له والرد لهم منه، وامتن على المؤمنين بأنْ حقّق لهم ذلك دون أنْ ينزلوا ساحة المعركة، أو يتقاتلوا مع أولئك الأقوام: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ الآيات. [الأحزاب: ٢٥ – ٢٧].

ولا عجب فهو سبحانه القويّ العزيز، ردّ أولئك، وحفظ هؤلاء، وكفاهم الشرور بقوّته وعزّته، وهكذا يذكرهم سبحانه بكرمه ومِنَّتِه في أول آيات الغزوة: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٩]، وآخرها: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ...**﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وأما يهود بني قريظة الذين نكثوا العهد وخفروا الذمة ووقفوا مع الأحزاب في حربهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين؛ فقد أذلهم الله وأخزاهم وانقلب مكرهم عليهم.

وما ينقم هؤلاء من المؤمنين، وهم لم يروا منهم إلا البر والإحسان باعتراف زعيمهم كعب بن أسد الذي تردّد في أول أمره أن يستجيب لإغراءات حيي بن أخطب بالنكث والنقض، مدفوعًا إلى ذلك التردُّد بشيئين: الأول: أنه لا مبرِّر لهذا النكث، فهم لم يروا في جوار رسول الله ﷺ إلا الخير، ومِن ناحية أخرى، لا يدرى ما تصير الأمور إليه؛ أتى حيي بن أخطب النضري كعب بن أسد القرظي، فلما سمع كعبٌ بِحُيَيٍّ أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه، فأبَى أن يفتح له، فناداه حيي: ويحك يا كعب! افتح لي، قال: ويحك يا حيي: إنك امرؤ مشئوم، وإني قد عاهدت محمَّدًا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلّا وفاءً وصدقًا...فلم يزل حيي

---

(١) رواه البخاري (٤١٠٩ ، ٤١١٠) من حديث سليمان بن صرد ﷺ.

بكعب يفتله في الذروة والغارب[(١)]، حتى لَانَ له، وقال: ارجع عني يومك هذا حتى أشاور رؤساء اليهود. فقال: قد جعلوا العهد والعقد إليك فأنت ترى لهم. وجعل يلح عليه حتى فتله عن رأيه.. فنقض كعب العهد الذي كان بينه وبين رسول الله ﷺ..[(٢)]

لقد كانت جريمة كبرى بكل ما تعنيه تلك الجريمة، فهي خيانة لله وللرسول ولجماعة المؤمنين، وهي تآمر مع العدو الخارجي على من كان يستحق الوفاء؛ عهدًا وخُلقًا وجوارًا، لكن هذا هو مسلك بني إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديما وحديثًا؛ فالقوم لا يراعون المواثيق؛ فكما لا تدع الأفعى لدغها لا يدع اليهوديّ نكثه، حتى انسلخوا من طبقة الإنسانية إلى خلق آخر أبلغ وصف له ما قاله الحق سبحانه: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ**﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، كانت عقوبة الله لهم أنْ وَفَّق سعدًا ليحكم فيهم بذلك الحكم الذي وصفه الرسول ﷺ بأنه حُكم الله، وهو كذلك كما تدلّ عليه هذه الآيات التي نزلت بعد حكم سعد: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧] أنزلهم الله من حصونهم، وملأ قلوبهم رعبًا، وسلَّط عليهم المؤمنين؛ يقتلون من بلغ، ويأسرون من لم يبلغ، ويرثون أرضهم وديارهم.

**وإن أعظم درس يتعلمه أهل الإيمان**، أنَّ الغدر والنكث لا يعود بالضرر إلّا على أهله، فهو ثمرة، وخزي دائم، وهلاك ماحق.

ما بين نكثهم وذلهم إلا وقت قصير ليس بشيء في حساب الزمان، انتقلوا به من جوار الوفاء والرحمة إلى ذلِّ القتل والأسر، واللعنة الدائمة إلى يوم الدين.

لقد كان لقريظة عبرة في إخوانهم بني قينقاع يوم فعلوا ما نقضوا به العهد بعد معركة بدر، فأجلاهم رسول الله ﷺ، فإنْ لم يكن لهم في ذلك عبرة، فليكن لهم من إخوانهم بني النضير الذي أجلاهم رسول الله ﷺ بعد أُحُد، ولكن اليهودي رجل لا يعرف الوفاء مهما عُومِل بالوفاء، ولا يعرف الرحمة مهما أسبغت عليه من الرحمة، ولا يراعي العهد وإن احتملت ما

---

(١) **لم يزل يفتل في الذروة والغارب**: هذا مثَل، وأصله في البعير يستصعب عليك فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك؛ فضرب هذا الكلام مثلًا في المراوضة والمخاتلة. الروض الأنف (٦/٣١١).

(٢) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٤٥٦)، سيرة ابن هشام (٢/٢٢١).

احتملت في سبيل الوفاء له بالعهد؛ **فهل يتعلم أبناء الأمة اليوم من درس الأمس، وهل يستيقنوا المنهج الحق في التعامل مع اليهود؟!**

وربّ ضارّة نافعة؛ فإن الله جعل هذا الحدث سببًا لاجتثاث آخر جرثومة يهوديّة من المدينة بأسوأ عاقبة، وأقبح منتهى.

**على أنّ مِن دروس هذا الحدَث** أنْ يكون المؤمن وقّافًا عند حدود الله؛ فهؤلاء القوم حلفاء للأوس وسيدهم سعد بن معاذ وقد بذل جهده ألّا يستجيبوا لمكر حيي بن أخطب، وأنْ يستمروا على الوفاء، وأن يخشوا عواقب الأمور، ولكنّهم ردُّوا عليه بأقبح ردّ يستحيي الأمر من ذِكره؛ سعد هذا كان مثالًا للمؤمن الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد قالها صراحة: "**قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَنْ لَا يُبَالِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ**"، فحكَم فيهم بما حكم.(١)

**وبعد، فما هذه إلا  شذرات من دروس إيمانيّة وتربويّة، يمكن أنْ يستلهمها المرء وهو يقرأ غزوة الأحزاب في كتاب الله، أرجو أن تلقي ضوء على ثمرة معالجة الحدث من أحداث السيرة من خلال القرآن**، وأن تساهم في إيضاح أن السيرة النبوية معين لا ينضب في استنباط دروس الإيمان، ومورد عذب في تثبيت دلائل التقوى في قلب المؤمن، ودليل هاد للمسلم وهو ينافح عن دينه عدوان المعتدين، وتسلط الظلمة القاهرين، وليعلم أن في كل عصر أحزاب فإن تكن الأحزاب فليكن أوس وخزرج، وليكن سلع وخندق، وقبل ذلك وبعده ليكن هناك إيمان راسخ وعطاء ممتد وعزيمة لا تلين وثقة في الله لا تهتز؛ فالذي نصر محمّدًا وصحبه وَعَدَ بالنَّصرِ مَن اتّبَعَه وسار على نهجه؛ فاجعلنا اللهُمّ منهم، ووفِّق أُمَّتَنا لكلِّ خيرٍ، وادرأ عنها كل شر.

***

(١) انظر: مغازي الواقدي (٢/ ٥١١)، صحيح ابن حبان (٧٠٢٨)، جوامع السيرة (ص١٩٤).

## المثال الثاني

### المعالجة القرآنية لمعنى تربوي قُرِّر في مناسبات متعددة من أحداث السيرة

### (توجيه المربِّي إلى تقديم العناية بالراغبين في الهداية على الراغبين عنها)

**من أمثلة المعالجة القرآنية لمعنًى تربويٍّ بالتنبيه إليه في مناسبات متعدِّدة؛ متشابهة المعنى والصورة، متقاربة الظروف والملابسات؛ تلك الآيات التي أرشدت النبي ﷺ إلى العناية بالراغبين في الهداية، وتقديمهم على الراغبين عنها الذين لا يزالون يصدفون ويعاندون..**

**وفي ذلك من الآيات؛** قوله تعالى: **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ}** [الكهف: ٢٨]، وقوله ﷻ: **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}** [الأنعام: ٥٢]، وقوله سبحانه: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}** [عبس: ١ - ٣]، وقوله عزَّ مِن قائل: **{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}** [الأنعام: ٥٤]، **وفي جملة هذه الآيات توجيه العناية بالذين يجيئون طلبًا للهداية، ورغبةً في التزكية، وحُبًّا في الإيمان والإسلام.**

**وقد كانت دعوة النبي ﷺ في أوَّلها مفزع الضعفاء، وجُنَّة الفقراء؛** ولم يُرَ مع النبيِّ ﷺ في بداية الإسلام إلّا قِلَّة مِن الأعبد وامرأتين وأبي بكر[1]؛ وكان النبي ﷺ يجالسهم، ويأنس بهم، ويأنسون به. وهو ﷺ حريص كلَّ الحرص على هداية النّاس جميعًا إلى الإسلام؛ غنيّهم وفقيرهم، قويّهم وضعيفهم؛ حتى كاد أنْ يُذْهِب به هذا الحرص؛ كما في قوله ﷻ: **﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾** [الكهف: ٦]، وقوله: **﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ[2] أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾** [الشعراء: ٣]، وقوله: **﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾** [فاطر: ٨]، وقوله: **﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾** [الأنعام: ٣٣].

وكان عظماء قريش يرون مع النبي ﷺ الضعفاء والأعبد والفقراء؛ فكانوا يمتنعون من الجلوس للاستماع إليه ﷺ فيما يدعوهم إليه استكبارًا واستصغارًا لشأن أولئك المؤمنين؛ وكان ﷺ يرغب في

---

(١) في صحيح البخاري (٣٦٦٠، ٣٨٥٧) عن عمّار بن ياسر ﷺ: "**رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وَامْرَأَتَانِ وَأَبُو بَكْرٍ**". والأعبد المذكورون، هم: بلال، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة، وأبو فُكَيْهَة، وياسر والد عمّار، والمرأتان: خديجة، وسميّة والدة عمّار أو أمّ أيمن. مقدِّمة فتح الباري (٣٠٠/١) وانظر: الفتح (٢٤/٧).

(٢) يعني: قاتِل نفسك ومهلكها إنْ لم يؤمن قومك بك، ويصدِّقوك على ما جئتهم به. تفسير الطبري (٥٤٣/١٧).

إسلام هؤلاء؛ ليكونوا قدوة لقومهم، ولعِلمه أنَّ أصحابه يحرصون حرصه، ولا يوحشهم أنْ يقاموا مِن المجلس إذا حضره عظماء قريش؛ لأنهم آمنوا يريدون وجه الله لا للرياء والسُّمعة، ولكنَّ الله نهاه عن ذلك في قوله ﷻ: **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}** [الأنعام: ٥٢].[١] عن سَعْد بن أبي وقّاص ﷺ في سبب نزول هذه الآية: " **كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا** – وفي رواية: **تُدْنِي هَؤُلَاءِ؟!** – **قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾**.[٢]

**ومن المناسبات التي تكرَّر فيها التأكيد على هذا المعنى التربويّ**، ما جاء في قوله تعالى: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}** [عبس: ١ – ٣]، وقد ذكر غير واحد من المفسِّرين أنَّ هذه الآيات نزلت في عبد الله بن أمّ مكتوم[٣]، وفي سيرة ابن إسحاق: "كان رسول الله ﷺ جالسًا وعنده عتبة بن ربيعة، وابن أم مكتوم الأعمى، فقال: يا رسول الله علمني القرآن،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ط. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م (٧/ ٢٤٦).

(٢) صحيح مسلم ٤٥، ٤٦ – (٢٤١٣). وأمّا سعد بن أبي وقّاص ﷺ، فكان من أوّل النّاس سبقًا إلى الإسلام، ففي صحيح البخاري (٣٧٢٧) أنه قال: "**مَا أَسْلَمَ أَحَدٌ إِلَّا فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَسْلَمْتُ فِيهِ، وَلَقَدْ مَكَثْتُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَإِنِّي لَثُلُثُ الإِسْلَامِ**". وفي هؤلاء الستة ممَّن سمَّى سعد: بلالٌ ﷺ وقد كان مِن الأعبد السابقين إلى الإسلام اشتراه أبو بكر وأعتقه، كما في في صحيح البخاري (٣٧٥٤)، وكان ابن مسعود يرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط. رواه أحمد (٣٥٩٨، ٧٠٦١). قال مجمع الزوائد (١٧/٦): "**رجالهما رجال الصحيح**". وعن ابن إسحاق أنه قال: (**كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد، فجلس إليه المستضعَفون من أصحابه:** خبَّاب، وعمَّار، وأبو فَكيهة يسار مولى صفوان بن أُمَيَّة بن مُحَرِّث، وصهيب، وأشباههم من المسلمين، هَزِئت بهم قريش، وقال بعضُهم لبعض: هؤلاء أصحابه كما ترون، أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا بالهدى والحقّ! لو كان ما جاء به محمّدٌ خيرًا ما سَبَقَنَا هؤلاء إليه، وما خصّهم اللهُ به دوننا، فأنزل الله تعالى فيهم: **﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ..﴾** الآيات [الأنعام: ٥٢ – ٥٤]). سيرة ابن هشام (٣٩٢/١). وانظر: تفسير الطبري (٢٥٨/٩، ٢٣٨/١٥، ٢٤٠). وروي في ذلك عن خبّاب ﷺ حديثًا مُفصَّلًا؛ خرّجه ابن ماجه (٤١٢٧). وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢١٩/٤ – ٢٢٠): "**إسناده صحيح .. وأصله في صحيح مسلم وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص**".

(٣) قال ابن العربي في أحكام القرآن ت: محمد عبد القادر عطا (٣٦٢/٤): "**لا خلاف أنها نزلت في ابن أم مكتوم الأعمى**". وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٩).

فعبس رسول الله ﷺ في وجهه وصرفه عنه كراهية أنْ يزهد إقباله عليه عتبة في الإسلام، يقول: إنما يتبع هذا العميان والمساكين، فأنزل الله تعالى: **{عَبَسَ وَتَوَلَّى}** إلى قوله: **{فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}** عتبة **{وَأَمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعى، وَهُوَ يَخْشى}** ابن أم مكتوم".(١) وكان مِن آثار هذا العتاب بعد نزول هذه الآيات ما روي عن النبي ﷺ مِن إكرام ابن أمّ مكتوم(٢)، ثم تجلّى هذا الإكرام في استخلافه على المدينة يؤمّ بالنّاس(٣)، واتخاذه **مؤذّن**(٤)، ثم صيّره ﷺ مع مصعب بن عمير إلى المدينة يُقرِآن النّاس القرآن(٥)، بل روي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: **أنها كانت تكرمه؛ فتُقَطِّعُ لَهُ الْأُتْرُجَّ، وَتُطْعِمُهُ إِيَّاهُ بِالْعَسَلِ،** فقال لها مسروق في ذلك؟ فَقَالَتْ: **هَذَا ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الَّذِي عَاتَبَ اللهُ فِيهِ نَبِيَّهُ** ﷺ.(٦)

**وهكذا؛** يؤسِّس القرآن الكريم في المربِّي أولويّة الإقبال على الذين أبدوا رغبة في الهداية والتزكية ولو كانوا ضعفة وفقراء ومساكين في أقوامهم، أكثر من أولئك الراغبين عن هذه المعاني الطيبة ولو كانوا أولي شوكة ومكانة.

**والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.**

* * *

---

(١) سيرة ابن اسحاق (ص٢٣٠ – ٢٣١). وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ٣٦٣ – ٣٦٤). وفي الموطأ رواية يحيى ت: عبد الباقي (١/٢٠٣) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَتْ ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى**﴾ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ؛ **جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ اسْتَدْنِينِي، وَعِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ، وَيُقْبِلُ عَلَى الْآخَرِ...**

(٢) تفسير عبد الرزاق ت: د. محمود محمد عبده ١٤١٩هـ (٣٤٩٣) من قول قتادة، وكذا في نسختين خطيتين لمسند أبي يعلى ت: حسين سليم أسد كما في حاشيته (٥/٤٣١). وعزاه ابن كثير في تفسيره (٨/٣١٩) والسيوطي في الدر المنثور (٨/٤١٦) إلى مسند أبي يعلى، من رواية أنس. وفي سير أعلام النبلاء (١/٣٦١): "**وقد كان النبي ﷺ يحترمه**".

(٣) مسند أحمد (١٢٣٤٤)، سنن أبي داود (٥٩٥).

(٤) مع بلال بن رباح وسعد القَرَظ وأبي محذورة. سير أعلام النبلاء ط. الرسالة (١/٣٦٠). وفي البخاري (٦١٧) من حديث ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ بِلاَلًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُنَادِيَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**».

(٥) صحيح البخاري (٤٩٤١).

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ت: عبد العلي عبد الحميد حامد ١٤٢٣هـ (١٠/٤٧٧).

## ثبت المصادر


### علوم القرآن:

- **أحكام القرآن**، لابن العربي، ت: محمد عبد القادر عطا.
- **البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، ط. دار الفكر ١٤٢٠هـ.
- **التحرير والتنوير**، ط. الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
- **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير، ط. طيبة ١٤٢٠هـ.
- **تفسير عبد الرزاق** ت: د. محمود محمد عبده ١٤١٩هـ.
- **جامع البيان للطبري**، ط. دار هجر.
- **في ظلال القرآن**، ط. الشروق – القاهرة.
- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، ط. دار الفكر.
- **روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للألوسي، ضبط وتصحيح علي عبد الباري عطية .
- **مناهل العرفان** في علوم القرآن، للزرقاني ط. الحلبي.
- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، للواحدي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت ١٤١٥هـ.

### علوم الحديث:

- **صحيح البخاري**، ط. دار طوق النجاة عن السلطانية مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.
- **صحيح مسلم**، تحقيق وترقيم عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٤١٢هـ.
- **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لابن الأثير، ت: عبد القادر الأرناؤوط.
- **فتح الباري**، لابن حجر العسقلاني، ط. دار المعرفة – بيروت.
- **شرح مسلم**، للنووي، ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٤٧هـ.
- **شعب الإيمان**، للبيهقي، ت: عبد العلي عبد الحميد حامد ١٤٢٣هـ.
- **مسند أبي يعلى**، ت: حسين سليم أسد.
- **مسند أحمد**، ط. مؤسسة الرسالة.
- **مجمع الزوائد، للهيثمي**، ط. مكتبة القدسي.
- **المعجم الكبير**، للطبراني، ت: حمدي عبد المجيد السلفي.
- **الموطأ لمالك رواية يحيى**، صحّحه ورقّمه وخرّج أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي.

- **النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير**، ت: الزاوي، الطناحي.

## السِّيَر والتواريخ:

- **البداية والنهاية،** لابن كثير، ط. دار هجر.
- **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس،** حسين بن محمد بن الحسن الدّيار بكري، دار صادر – بيروت.
- **دلائل النبوة،** للبيهقي ت: عبد المعطي قلعجي ١٤٠٥هـ.
- **الروض الأنف،** ت: عبد الرحمن الوكيل.
- **زاد المعاد،** لابن القيِّم، ط. مؤسسة الرسالة.
- **جوامع السيرة،** لابن حزم، ت: إحسان عباس.
- **سبل الهدى والرشاد للصالحي،** ت: عادل عبد الموجود، علي معوض.
- **سير أعلام النبلاء،** ط. مؤسسة الرسالة.
- **سيرة ابن هشام،** ط. مكتبة الحلبي.
- **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،** لابن حبان ط. مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٧هـ.
- **السيرة النبوية،** لأبي الحسن الندوي، دار ابن كثير — دمشق، ١٤٢٥هـ..
- **السيرة النبوية في القرآن الكريم،** د. عبد الصبور مرزوق، ط. الهيئة العامّة المصرية للكتاب.
- **الطبقات الكبير،** لابن سعد ط. دار صادر.
- **مغازي الواقدي،** ت: مارسدن جُونس ١٤٠٩هـ
- **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية** للقسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر.

## البلدان والجغرافيا:

- **أطلس السيرة النبوية،** د. شوقي أبو خليل ط. دار الفكر المعاصر – بيروت، دار الفكر – دمشق. ١٤٢٣هـ.
- **الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين،** محمد غالي الشنقيطي، عني بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الأنصاري.
- **معجم البلدان لياقوت** الحموي، دار صادر – بيروت، ١٣٩٧هـ.
- **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،** عاتق بن غَيث البَلَادي، ط. دار مكّة – مكة المكرمة ١٤٠٢هـ

***

## فهرس المحتويات



***